سيبويه من اللغة المعللة العجيبة، الملخصة الغريبة المؤثرة لفضلها، والمستزاد لمثلها، وهو حلي كتابي هذا وزينه وجماله وعينه، مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فاتت كتاب سيبويه معللة، عربية كانت أو دخيلة. وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين، المتضمنة لتعليل اللغة، فكتب أبي علي الفارسي: الحلبيات، والبغداديات، والأهوازيات، والتذكرة، والحجة، والاغفال، والايضاح، وكتاب الشعر، وكتب أبي الحسن بن الرماني، كالجامع والأغراض وكتب أبي الفتح عثمان بن جني: كالمغرب، والتمّام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسر الصناعة والتعاقب والمحتسب»[1]. كما هناك مصادر أخرى لم يستطع ابن سيده حصرها بل لملمها من هنا وهناك. وهو يعترف بذلك قائلًا: «إلى أشياء أقتضبتها من الأشعار الفصيحة والخطب الغريبة الصحيحة»[2].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ابن سيده ردّ مادة كتابه إلى الأصول المشرقية من دون الالتفات إلى المؤلفات الأندلسية؛ مع العلم أن أعمال القالي والزبيدي وابن القوطية، يشهد لهم بالتقدم والمقدرة. غير أنه أغلب الظن قد استفاد منهم وإن كان يصعب علينا اثبات ذلك.

---

(١) المحكم ١: ١٥.

(٢) المحكم ١: ١٥.